جامعة محمد خيضر ـ بسكرة ـ

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

المحور الثاني : النقد الظاهري

المحاضرة الثالثة

(نقد المصدر)

مقياس منهجية وتقنية البحث التاريخي (02)

المستوى: ثانية ليسانس

السداسي الرابع

المحاضرة الثالثة: نقد المصدر:

1- مفهوم نقد المصدر:

هو الشق الثاني من مراحل النقد الظاهري يتمثل في إثبات صحة الوثائق لأنه في حالة التزييف أو الإنتحال فلا يمكن الاعتماد عليها أبدا، وان كان في وقتنا الحاضر صار تزييف الوثائق والأصول أصعب منه سابقا إلا أن دوافع التزييف والدس لا تزال قائمة كالأهواء والمطامح وحب الشهرة، فقد تزيف الآثار المادية من اجل الكسب مثل تزييف مجموعة أواني وأدوات فخارية في ارشليم سنة 1872 وتم شراء بعضها من متحف برلين واثبت البحث العلمي زيف هذه الآثار.

ومن أمثلة الكتابات المزيفة مجموعة خطابات وأشعار طبعت في ايطاليا سنتي 1863 و1865 باعتبار أنها كتبت عن جزيرة سردينيا بين القرن الخامس عشر والثامن عشر، أثارت هذه الكتابات دهشة في الأوساط العلمية، فتم تحقيقها في اكاديمية العلوم ببرلين، حققت من ناحية الخط، اللغة، الأدب، المعلومات التاريخية فوصلوا إلى أن ما جاء بها لا يطابق خطوط سردينيا وأدبها وتاريخها في تلك القرون فقرروا أنها آثار كتابية مزيفة (عثمان، د.ت، ص 54).

2- تعيين شخصية المؤلف وتحديد زمن التدوين:

هناك أصول تاريخية تحمل أسماء مؤلفيها وزمان ومكان تدوينها وهناك التي تفتقر إلى بعض النواحي فكيف يقدر الباحث قيمة هذا الأصل وهو يجهل اسم وشخصية مؤلفها وعلاقته بالأحداث التي كتب عنها ؟ هل شهدها بنفسه أو سمعها ونقلها عن غيره؟ هل دونت أثناء وقوع الأحداث؟ أم بعد ذلك بفترة طويلة أو قصيرة؟ هل دونت في مكان الحدوث أم لا؟ (يزبك، 1990، ص 99).

معرفة من كتب الأصل التاريخي وشخصيته مهمة جدا لأن قيمة معلومات هذا الأصل (الوثيقة) ترتبط بشخصية الكاتب ومدى فهمه للأحداث وكذا الظروف المحيطة، فالمعلومات التي يدونها الحاكم، الأمير، الوزير، الجندي، الفلاح، تختلف قيمتها بحسب حالة كل منهم وكاتب الأصل التاريخي، يعتبر همزة الوصل بين المؤرخ والوقائع المكتوب عنها فإذا كان محل ثقة كانت معلوماته أقرب إلى الصحة والعكس صحيح (عثمان، د.ت، ص ص 89-90).

يصبح عمل المؤرخ في هذه الحالة شبيها بعمل القاضي فالقاضي أمامه شهود الحوادث أحياء ينطقون بالصدق والكذب عكس المؤرخ الذي شهوده غائبون وعليه أن ينتقل من الحاضر إلى الماضي بالعقد والنقد والخيال (يزبك، 1990، ص 100).

أحيانا لا يتمكن المؤرخ من معرفة اسم كاتب الأصل التاريخي وشخصيته رغم جهوده فيبقى مجهولا، هذا لا يمنع من الاستفادة من الأصل التاريخي فربما يكون ذلك الكاتب المجهول هو المصدر الوحيد لما قدمه من معلومات ومثال ذلك ما دونه مؤلف مجهول في شكل مذكرات عن رحلة فاسكودي جاما البرتغالي في أواخر القرن الخامس عشر حول رأس الرجاء الصالح واتجاهه إلى ساحل شرق إفريقيا (يزبك، 1990، ص 100).

يتعذر على المؤرخ جمع الكثير من المعلومات على كاتب الوثيقة أو الأصل التاريخي، فلابد عليه في هذه الحالة الاقرار بذلك ودراسة المعلومات الواردة في نطاق عصره ومكانه لتقييمها على نحو ما للإفادة، كما أن وضع اسم شخص ما على أصل تاريخي لا يعني حتما انه كاتبه كله أو بعضه، غالبا يستطيع المؤرخ أن يعرف كاتب الأصل من

خلال دراسة نوع الورق، الخط، الحبر، اللغة، الأسلوب، المصطلحات، وكذا المعلومات التاريخية الواردة، قد يخطئ المؤرخون في نسبة المصدر التاريخي إلى مؤلفه الحقيقي ومن أمثلة ذلك رسالة عمل عليها كل من الأب بولس قرالي والأستاذ عيسى اسكندر المعروف.

قد يكون الأصل التاريخي من عمل أكثر من مؤلف واحد لما تكون هناك إضافات وزيادات وتعليقات ثم تطبع، ويعد الأصل في هذه الحالة وما أضيف إليه وكأنه من وضع مؤلف واحد فهنا لابد من كشف الحقيقة، تسهل هذه العملية إذا وجد الأصل مخطوط حيث بالإمكان تمييز الإضافات الموجودة على النسخة المطبوعة، لكن في حالة ضياع الأصل تصعب المهمة، فعلى المؤرخ أو الدارس أن يتأكد من اللغة هل هي واحدة أو أكثر، وأيضا من الأسلوب، وهل يسود النص فكرة واحدة وروح واحدة أو أكثر، هل هناك تناقضات أو فجوات في الأفكار، وهل الذي قام بإضافة يمكن التعرف عليه وعلى شخصيته أم يتعذر ذلك على الباحث (يزبك، 1990، ص ص 102- 103).

معرفة زمن تدوين الأصل التاريخي مهمة في النقد، فقد يكون الأصل صحيح وكاتبه من الذين معهود لهم بالصدق، لكن إذا كان هذا السند قد دون بعد الأحداث بمدة هذا ينقص من قيمة الأصل التاريخي، فالذاكرة تخون وكلما بعد عهد التدوين على فترة الأحداث كلما تملصت وقائع من التسجيل، فإذا لم يحدد الكاتب التاريخ فكيف يستطيع الباحث أن يحدد ذلك، ففي هذه الحالة عليه أن يضع حدين لبدأ الأصل ونهايته بناءا على دراسة محتوياته فيعين الحد الذي لا يمكن أن تكون الأحداث وقعت قبله وتاريخ آخر لا يمكن أن تكون وقعت بعده، ولفعل ذلك لا بد أن يكون ملما بثقافة ومعارف عصر الأحداث (يزبك، 1990، ص 104).

إذا تميزت القراءات بالوحدة فهذا يدل على أن المصدر واحد، أما إذا تعددت رغم أنها تتكلم عن نفس الحادثة مع انعدام الأصل فلا بد من الشك والتوقف عندها طويلا، نقد المصدر يحمي المؤرخين من الوقوع في الأخطاء الجسيمة حيث يعلمهم الامتناع عن استخدام الوثائق السقيمة (المخلافي، 2014، ص 64).

3- كيفية التعامل مع الوثيقة الجديدة:

هل هناك فرق في التعامل مع الوثيقة القديمة والوثيقة الجديدة؟ نعم هناك فرق فالوثيقة الجديدة غالبا ما تحمل اسم مؤلفها، توقيعه، إلا أن هناك كتب مؤلفة حديثا في حين أنها الفت بأسماء مستعارة، وبالتالي يتم التعامل معها كالوثائق القديمة في التحري والبحث والتدقيق.

من أهم طرق نقد الوثائق الجديدة المجهولة:

- مقارنة مضمونها مع ما هو منشور.
- مقارنة أسلوب ولغة المؤلف مع لغته وأسلوبه في مؤلفاته الاخرى .
- التركيز على شيوع استخدام مصطلحات وتعبيرات معينة مقترنة بأشخاص معينين.
- العمل على الوصول إلى النسخة المكتوبة بخط اليد وهذا يعني الاجابة على 95% من التساؤلات.
- التخمين في الشخص المفترض من خلال المرتبطين بالحدث الذي كتبت حوله الوثيقة وبالقراءات المعمقة يظهر الفرق.

نصل إلى أن هناك فرق في التعامل مع الوثيقة القديمة والحديثة من حيث الوضوح أو التعقيد لكنهما تشتركان في المنهج وقد تختلف الأدوات أحيانا (المخلافي، 2014، ص ص 46-47).